ومن ثمرات جنانى ، فأن مما يشفى الفؤاد أن تتقدم بما عندك من زاد ، إن لم يكن اليوم شهياً فقد يضحى رطباً جنياً ، أرأيت إلى عبد الحميد كيف تنقل به الحال حتى صار طائراً أغريداً ؟ ومصر فى حياة الكنيرين عقبة : فهذا مصرى عجم عود الدهر ، وأكسبه اليوم والشهر ، زاد كالقادة بصيرة وقادة وفريحة نقادة . بير الكنيرين من أصحاب المذهب الذقيس والمطوقين فى باريس .

لو أسندت اليه أمور مهمة ومشاكل معضلة لكان أنفذ من سهم فى مساله وأقن أن يعبر البحر إلى ساحل جده « آمون » وقسه تطاف لدون ، وما هو بنعمة ربه بمجنون ، ولكنه فى بلاد العجائب والعجب .

يتساءل الناس عنه من أين حضر وكم من الشهادات استحضر ؟ فان وجدوا جواباً ، قالوا وهل له ركن يعول عليه ، وملجأ يلجأ إليه ، حتى يقدم عند استخدامه ولا يبوء بالخيبة ، وهو لا تحترم عبقريته . ولا فكرته ورويته إن لم يكن صاحب كيت وكيت . أو رب بيت أو محل امل ولبث ؟ إنه فائز والقنوط حليفه وناقم والتهمة ألفه . لا يتذكر بلاده إلا ساه بالطعن وسامها الهون . يذوب أسفاً كلما رأى فتاً من أسعد الناس حظاً ، ورأى الرؤساء يزوغون أمام النبوغ ، وإن كل فتان مزعزع الأركان مهدم البنيان ، ورأى اضطراب الحال لا يختلف فيه اثنان :

ولربما رجح الخسيس من الحصى ... بالدر عند تراجح الميزان

عبد الفتاح البير

عيد الضحية والفداء

يتألق تاج التضحية والفداء مساناة [1] على رؤوس المجاهدين والشهداء فى اليوم الأغر الأبلج ، يوم العيد الأكبر : فتحسسوا رؤوسكم ، وسائر ذواتكم : أنحن بالتاج خليقون ، وبشرف التضحية جديرون ؟ !

يوم أكبرته العرب فى الجاهلية ، وكرمه الاسلام علماً خفاقاً ، وجعله كأساً دهاقاً يشرب منه المسلمون أطايب القربة والتضحية : أليس الاسلام « ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل » ؟ إفرحي أيها العيد مرتين :

فيه تقدم سيد المضحين ابراهيم ابن تارخ [2] وقد بلغ من الكبر عتياً . بولده وفلذة

---

(١) كل سنة (٢) والد سيدنا ابراهيم واسمه آزر

كبده اسمعيل . تقدم به إلى التضحية العظمى « فلما بلغ معه السعي، قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى : قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين » ! ! !

عشمته تهزأ بالحياة وما في الحياة ! فأعظم بإبراهيم واسمعيل . . .

ابتلاء « تكاد السماوات يتفطرن منه ، وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » . .

لا يقبل متفيهق [1] : ماله يبالغ هذه المبالغة والصحف تزخر كل يوم بأنباء « المنتحرين » ؟ . على رسلك أيها الواهم الموهوم ! فما كان الانتحار يوما بطولة ، بل خطة مرذولة ، إذ لم يكد يعثر بهؤلاء جدهم [2] العاثر حتى سئموا الحياة فتركوها فرارا من أمل انقلب ألما . . حشوا شجرتهم خيفة الزعازع والأعاصير . . وهذا منتهى الجبن والفساد وإن لبسوا ثوب البطولة في غير جهاد ! أين هذا من زهرة النبوة فوق شجرة الرسالة ؟ : تضحية الحياة مرضاة لواهب الحياة . هذه هي الذروة العليا للتضحية ، فأعظم بإبراهيم واسمعيل . . .

خذ بيدك غلاما . وقل له « يا بني إني أريد أن أضربك عصيا » . . ألا يكون مخالفا عصيا ؟ يستنجد الثورة ، ويملأ الجو صراخا ! ولكن اسمعيل بن ابراهيم وكفى « إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم » كاد أن يتحطم فرع النبوة لولا رحمة ربك « وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . وفديناه بذبح عظيم » . .

التضحيه في غير من ولا مين . . [3]

التضحية بأعز ما لدى الإنسان : هي الثمرة الناضجة لشجرة الرجولة إذا رويت بماء البطولة . . هي قيم الحياة على حقيقتها . . : هي طريق الخلود !

إن المضحين الخيرة هم أبطال التاريخ . . وإنهم ليعيشون آلاف السنين بينما الجبناء لا يعيشون غير عشرات من سنين . .

لست إنسانا بهذا الجسد الذي تلبسه وتمعن في ترفيه من أثر الجروح والأمراض التي تحتمل فيه — بل إنسانيتك بما بين جنبيك من قلب عظيم أو حقير . . وليس قدرك بما أودت [4] من مال أوجاه . . . بل بما تقدمه لنفسك ولأمتك التي تنمو فتصير « طائفة » ثم تكبر فتصير « أمة » ثم تعظم فتصير « إنسانية » من خير أو شر . .

فإذا كنت هينا على نفسك هينينا — عند الحاجة — « بثوبك » الذي يغلف نفسك

(١) مدع الفقه بالامور (٢) عظيم (٣) وكذب (٤) ملكيته

فأنت أهون على التاريخ أن يمحوك كلمة واحدة ؛ فكم من اللابيين عاشوا وماتوا لم يحس بهم التاريخ ولم يسمع لهم ركزا (١) . .

ومن الناس من يحسب التضحية سلعة لها ثمنها ، فإذا ما أخطأه الربح عد نفسه مغبونا ! !

ألا إن التضحية الحقة لا ثمن لها إلا راحة الضمير بتأدية الواجب !

ومنهم من يحسب التضحية ضربا من الموس ، ويفهم أن قوله تعالى « ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة » معناه لا تعملوا لأنفسكم ودينكم وبلادكم ما يعود بالضرر على أجسادكم ! ! ليس هذا . . وإلا فقيم قوله تعالى « يأيها النبي حرض المؤمنين على القتال » ؟ ! بل خضوع المرء واستسلامه يقتل فيه الرجولة وهو التهلكة الذريعة : وإن مسخ الإنسانية لأشد إخلالا من حز الرقاب لأولى الألباب !

وثقة (٢) التضحية تصير أبطالا أو تظهر رجالا . . فالنفوس الصغيرة تتألم من ألمها أما النفوس الكبيرة فتخرج متألمة بنورها . .

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الأجسام

متى تجب التضحية ؟ وفي أي ظرف تكون ؟ !

سؤال لابد من الإجابة عليه ؛ فقد ظن المنتحرون أنهم بنتاج التضحية جديرون . . وظن بعض الناس أن التضحية بالكرامة أو الرجولة كلها في سبيل « العيش » لا مأخذ عليها ولا مطعن فيها : أليس حب البقاء غريزة في كل ذي روح ؟ !

للتضحية معايير ومقاييس ، وظروف ومناسبات : فبينما هي يسيرة هينة لا تعدو تعبا للجسد ، أو إنفاقا لبعض المال في سبيل الجامعة . . إذا بحرارتها ترتفع ، وإذا هي أجمل للآلام المريرة في سبيل الكرامة . . ثم إذا بها تصل إلى التضحية بالحياة إذا تغالب الدين أو الوطن منك التضحية بالحياة ؛ ولا عجب فالوطن هو الدنيا . . والدين هو الآخرة ! !

لهذا إذا دقت أجراس الكرامة استيقظ الرجال . . وإذا نادى الوطن هيوا . . وإذا أذن الدين لبوا . . فهذا وقت الأقدام وظرف التضحية ! !

أما أولئك الذين (يضحون) بكرامتهم في سبيل المادة ، أو يهدرون رجولتهم إبقاء في زعمهم — على المنصب الأجوف والجاه المزيف . . والذين (يضحون) بشرفهم ومالهم في سبيل أحط الغرائز ، فقد فسدت لديهم المعايير وكسدت سوق التضحية . . ليست مقاييس التضحية نزوات الرءوس وشهوات النفوس : بل تبالة المقاصد وشرف المبادىء والمثل العليا . .

محمد عيسى مرسى

نقيب البحيرة وعضو الاتحاد ؛ ومدرس بمدرسة ابي حبيل الابتدائية بالبحر

(١) صوتا ضعيفا (٢) إناء يذاب فيه الذهب والمعادن لتنقيتها من الاخلاط .